معلقة لبيد بن أبي ربيعة

عفَـــــتِ الدِّيـــــارُ مَحَلَّـــــها فمُقامُـــــها

بمنـــــىً تـــــأبَّدَ غوْلُـــــها فَرِجامُـــــها[1]

فَمَدافِـــــعُ ارّيَّـــــانِ عُـــــرِّيَ رَسْـــــمُها

خَلَقـــاً كمـــا ضَمِـــنَ الوُحـــيَّ ســـلامُها[2]

---

[1] عفا لازم ومتعد، يقال: عفت الريح المنزل وعفا المنزل نفسه عفواً وعفاء، وهو في البيت لازم. المحل من الديار: ما حل فيه لأيام معدودة، والمقام منها: ما طالت الإقامة به. منى: موضع بحمى ضربة، غير منى الحرم، ومنى ينصرف ولا ينصرف ويذكر ويؤنث. تأبد: توحش، وكذلك أبد يأبد أبوداً. الغول والرجام: جبلان معروفان. ومنه قول أوس بن جحر:

زعمتمُ أن غولا والرجام لكم ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

يقول: عفت ديار الأحباب وانمحت منازلهم ما كان منها للحلول دون الإقامة وما كان منها للإقامة، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى منى.

تعليق:

لبيد من الشعراء البارعين في الوصف كثير الدقة، يحيط بجميع صور الموصوف خصوصاً في المعلقة، ففيها نراه يسبق جميع زملائه في تصوير الديار البالية والدمن الخالية، وتحديد المكان أثناء السفر، كما أنه رقيق العاطفة في رثائه وحزمه، وفي معلقته يسمو بشعره إلى ما وراء الطبيعة مما لم يسبقه إليه أحد من شعراء الجاهلية، وهي ظاهرة اختص بها وفاق نظراءه فيها فلم يقم بينهم مثله في التقرب إلى الله والوقوف موقف الواعظ التقي الورع..

توحشت الديار الغولية والديار الرجامية منها لارتحال قطانها واحتمال سكانها. والكناية في غولها ورجامها راجعة إلى الديار، قوله: تأبد غولها، أي ديار غولها ورجامها. فحذف المضاف.

[2] المدافع: أماكن يندفع عنها الماء من الربى والأخياف، الواحد مدفع. الريان: جبل معروف. ومنه قول جرير:

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

التعرية: مصدر عريته فعري وتعرى. الوحي: الكتابة، والفعل وحي يحيي، والوحي الكتاب، والجمع الوُحي. السلام: الحجارة، الواحدة سلمة، بكسر اللام. فمدافع: معطوف على قوله غولها.

يقول: توحشت الديار الغولية والرجامية، وتوحشت مدافع جبل الريان لارتحال الأحباب منها واحتمال الجيران عنها. ثم قال: وقد توحشت وغيرت رسوم هذه الديار فعريت خلقاً وإنما عراها السيول ولم تمنح بطول الزمان فكأنه كتاب ضمَّن حجراً، شبه بقاء الآثار لقدم الأيام ببقاء الكتاب في الحجر؛ ونصب خلقاً

obeikandl.com

دِمَـــنٌ تَجَـــرَّمَ بعـــدَ عَـــهدِ أنيســـها

حِجَـــجٌ خَلَـــوْنَ خلالُـــها وَحَرامُـــها[1]

رُزِقَـــتْ مرابيـــعَ النّجـــومِ وصابـــها

وَدْقُ الرَّواعِـــدِ جودُهـــا فرِهامُـــها[2]

مـــن كُـــلِّ ســـاريةٍ وغـــادٍ مُدجِـــنٍ

وعشـــيَّةٍ مُتجـــاوِبٍ إرزَامُـــها[3]

فعـــلا فـــروعِ الأيـــهقانِ وأطفلـــتْ

بالجـــهلتينِ ظِباؤهـــا ونعامُـــها[4]

على الحال، والعامل فيه عري، والمضمر الذي أضيف إليه سلام عائد إلى الوحي.

[1] التجرم: التكمل والانقطاع، يقال: تجرمت السنة وسنة مجرمة أي مكملة. العهد: اللقاء، والفعل عهد يعهد، الحجج: جمع حجة وهي السنة. وأراد بالحرام الأشهر الحرم، وبالحلال أشهر الحل. الخلو: المضي، ومنه الأمم الخالية، ومنه قوله عز وجل: (وقد خلت القرون من قبلي).

يقول: هي آثار ديار قد تمت وكملت وانقطعت بعد عهد سكانها بها سنون مضت أشهر الحرم وأشهر الحل منها، وتحرير المعنى: قد مضت بعد ارتحالهم عنها سنون بكمالها. خلون: المضمر فيه راجع إلى الحجج، وحلالها بدل من الحجج، وحرامها معطوف عليها، والسنة لا تعدو أشهر الحرم وأشهر الحل، فعبر عن مضي السنة بمضيهما.

[2] مرابيع النجوم: الأنواء الربيعية وهي المنازل التي تحلها الشمس في فصل الربيع، الواحد مرباع. الصوب: الإصابة، يقال: أصابه أمر كذا وأصابه بمعنى. الودق: المطر، وقد ودقت السماء تدق دقاً إذا أمطرت. الجود: المطر التام العام، وقال ابن الأنباري: هو المطر الذي يرضي أهله، وقد جاد المطر يجود جوداً فهو جود. الرواعد: ذوات الرعد من السحاب، وحدتها راعدة. الرهام والرهم: جمعا رهمة.. وهي المطرة التي فيها لين.

يقول: رزقت الديار والد من أمطار الأنواء الربيعية فأمرعت وأعشبت وأصابها مطر ذوات الرعود من السحائي ما كان منه عاماً بالغاً مرضياً أهله وما كان منه ليناً سهلاً. وتحرير المعنى: إن تلك الديار ممرعة معشبة لترادف الأمطار المختلفة عليها ونزاهتها.

[3] الساربة: السحابة الماطرة ليلاً، والجمع السواري. المدجن: الملبس آفاق السماء بظلامه لفرط كثافته، والدجن، إلباس الغيم آفاق السماء، وقد أدجن الغيم. الإرزام: التصويت، وقد أرزمت الناقة إذا رغت، والاسم الرزمة، ثم فسر تلك الأمطار فقال: هي من كل مطر سحابة سارية ومطر سحاب غاد يلبس آفاق السماء بكثافته وتراكمه وسحابة عشية تتجاوب أصواتها، أي كأن رعودها تتجاوب، جمع لها أمطار السنة لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلاً، وأمطار الربيع يقع أكثرها غداة، وأمطار الصيف يقع أكثرها عشياً. كذا زعم مفسرو هذا البيت.

[4] الأيهقان. بفتح الهاء وضمها: ضرب من النبت وهو الجرجير البري. أطفلت أي صارت ذوات الأطفال. الجهلتان: جانبا الوادي. ثم أخبر عن أخصاب الديار وأعشابها فقال: فعلت بها فروع خذا الضرب من

والعـــــينُ ســـــاكنةٌ علـــــى أطلائـــــها

عُـــــوذاً تـــــأجَّلُ بالفضـــــاء بهامـــــها[1]

وجـــــلا السّـــــيولُ عـــــن الطُّلـــــولِ كأنّـــــها

زُبُـــــرٌ تُجـــــدُّ متونـــــها أقلامُـــــها[2]

أو رجـــــعُ واشـــــمةٍ أســـــفَّ نؤورهـــــا

كِففـــــاً تعـــــرَّضَ فوقـــــهنَّ وشـــــامها [3]

البنت وأصبحت الظباء والنعام ذوات أطفال بجانبي وادي هذه الديار، قوله: ظباؤها ونعامها، يريد: وأطفلت ظباؤها وباضت نعامها، لأن النعام تبيض ولا تلد الأطفال، ولكنه عطف النعام على الظباء في الظاهر لزوال اللبس. ومثله قول الشاعر:

إذا ما الغانيات برزن يوماً وزججن الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون، وقول الآخر:

تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه أن مولاه صار له وفر

أي وفقأ عينيه، وقول الآخر:

يا ليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحا

أي وحاملاً رمحاً، تضبط نظائر ما ذكرنا، وزعم كثير من الأئمة النحويين والكوفيين أن هذا المذهب سائغ في كل موضع، ولوّح أبو الحسن الأخفش إلى أن المعول فيه على السماع.

[1] العين: واسعات العيون. الطلا: ولد الوحش حين يولد إلى أن يأتي عليه شهر، والجمع الأطلاء، ويستعار لولد الإنسان وغيره. العوذ: الحديثات النتاج، الواحدة عائذ، مثل عائط وعوط وحائل وحول وبازل وبزل وفاره وفره، وجمع الفاعل على فعل قليل معول فيه على الحفظ. الأجل: القطيع من بقر الوحش، والجمع الآجال، والتأجل: صيرورتها أجلاً أجلاً. الفضاء: الصحراء. البهام: أولاد الضأن إذا انفردت، وإذا اختلطت بأولاد الضأن أولاد المعز قيل للجميع بهام، وإذا انفردت أولاد المعز من أولاد الضأن لم تكن بهاماً، وبقر الوحش بمنزلة الضأن، وشاه الجبل بمنزلة المعز عند العرب، وواحد البهام بهم، وواحد البهم بهمة، ويجمع البهام على البهامات. يقول: والبقر الواسعات العيون قد سكنت وأقامت على أولادها ترضعها حال كونها حديثات النتاج وأولادها تصير قطيعاً في تلك الصحراء؛ فالمعنى من هذا الكلام: أنها صارت مغنى الوحوش بعد كونها مغنى الإنس. ونصب عوذاً على الحال من العين.

[2] جلا: كشف، يجلو جلاء، وجلوت العروس جلوة من ذلك، وجلوت السيف جلاء صقلته، منه أيضاً. السيول: جمع سيل مثل بيت وبيوت شيخ وشيوخ. الطلول: جمع الطلل. الزبر: جمع زبور وهو الكتاب، والزبر الكتابة، والزبور فعول بمعنة المفعول بمنزلة الركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب. الإجداد والتجديد واحد. يقول: وكشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها بعد ستر التراب إياها، فكأن الديار كتب تجدد الأقلام كتابتها، فشبه كشف السيول عن الأطلال التي غطاها التراب بتجديد الكتّاب سطور الكتاب الدارس، وظهور الأطلال بعد دروسها بظهور السطور بعد دروسها، وأقلام مضافة إلى ضمير زبر، واسم كأن ضمير الطلول.

[3] الرجع: الترديد والتجديد، وهو من قولهم: رجعته أرجعته رجعاً فرجع يرجع رجوعاً. وقد فسرنا

فوقفـــــت أســـــألُها، وكيـــــفَ ســـــؤالنا

صُمّـــاً خوالِـــدَ مـــا يبـــينُ كَلامُـــها[1]

عَرِيَـــتْ وكـــانَ بـــها الجميـــعُ فـــأبكروا

منـــها وغُـــودِرَ نؤيـــها وثمامُـــها[2]

شـــاقتكَ ظُعْـــنُ حـــين تحمَّلـــوا

فتكنَّسُـــوا قُطُنـــاً تَصِـــرّ خيامُـــها[3]

الواشمة. الإسفاف: الذر، وهو من قولهم: سف زيد السويق وغيره يسفه سفاً وأسففته السويق وغيره، ثم يقال: أسففت الدواء الجرح والكحل العين. النؤور: ما يتخذ من دخان السراج والنار، وقيل: النيلج. الكفف: جمع كفة وهي الدارات، وكل شيء مستدير كفة، بكسر الكاف، وجمعها كفف، وكل مستطيل كفة، بضمها، والجمع أكفف، كذا حكى الأئمة. تعرض وأعرض: ظهر ولاح. الوشام: جمع وشم؛ شبه ظهور الأطلال بعد دروسها بتجديد الكتابة وتجديد الوشم.

يقول: كأنها زبر أو ترديد واشمة وشماً قد ذرت نؤورها في دارات ظهر الوشام فوقها فأعادتها كما تعيد السيول الأطلال إلى ما كانت عليه، فجعل إظهار السيل الأطلال كإظهار الواشمة الوشم، وجعل دروسها كدروس الوشم. نؤورها: اسم ما لم يسمَّ فاعله، وكففاً هو المفعول الثاني بقي على انتصابه بعد إسناد الفعل إلى المفعول. وشامها: فاعل تعرض وقد أضيف إلى ضمير الواشمة.

[1] الصم: الصلاب، والواحد أصم والواحدة صماء. خوالد: بواق. يبين، بأن يبين بياناً، وأبان قد يكون بمعنى أظهر ويكون بمعنى ظهر، وكذلك بين وتبين قد يكون بمعنى ظهر، وقد يكون بمعنى عرف، واستبان كذلك، فالأول لازم والأربعة الباقية قد تكون لازمة وقد تكون متعدية، وقولهم: بين الصبح لذي عينين. أي ظهر فهو هنا لازم. ويروى في البيت: ما يبين كلامها وما يبين، بفتح الياء وضمها، وهما بمعنى ظهر.

يقول: فوقفت اسأل الطلول عن قطانها وسكانها، ثم قال: وكيف سؤالنا حجارة صلاباً بواقي لا يظهر كلامها، أي كيف يجدي هذا السؤال على الكلف والشغف وغاية الوله، وهذا مستحب في النسيب والمرثية لأن الهوى والمصيبة يدلهان صاحبهما.

[2] بكرت من المكان وأبكرت وابتكرت بمعنى أي سرت منه بكرة. المغادرة: الترك، غادرت الشيء تركته وخلفته، ومنه الغدير لأنه ماء تركه السيل وخلفه، والجمع الغدر والغدران والأغدرة. النؤي: نهير يحفر حول البيت لينصب إليه الماء من البيت، والجمع نؤي وأنآء وتقلب فيقال آناء مثل أبآر وآبار وأراء وآراء. الثمام: ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت.

يقول: عريت الطلول عن قطانها بعد كون جميعهم بها فساروا منها بكرة وتركوا النؤي والثمام، أي لم يبق بمنازلهم آثار إلا النؤي والثمام، وإنما لم يحملوا الثمام لأنه لا يعوزهم في محالهم.

[3] الظعن: بتسكين العين تخفيف الظعن بضمها، وهي جمع الظعون: وهو البعير الذي عليه هودج وفيه امرأة، وقد يكون الظعن جمع ظعينة وهي المرأة الظاعنة مع زوجها، ثم يقال لها وهي في بيتها ظعينة، وقد يجمع بالظعائن أيضاً. التكنس: دخول الكناس والاستكنان به. القطن: جمع قطين وهو الجماعة، والقطن واحد. الصرير: صوت الباب والرحل وغير ذلك. يقول: حملتك على الاشتياق والحنين نساء الحي أو

مـــن كـــلِّ محفُـــوفٍ يُظِـــلُّ عصيَّـــهُ

زوجٌ عليـــــهِ كِلَّـــــةٌ وقِرامـــــهُا[1]

زُجَـــلاً كـــأنَّ نعـــاجَ تُوضـــحَ فوقـــها

وظبـــاءَ وجـــرةَ عُطَّفـــاً أرآمُـــها[2]

حُفِـــزَتْ وزَايلَـــها السَّـــرابُ كأنَّـــها

أجـــزاعُ بيشَـــةَ أثلُـــها ورِضامُـــها[3]

بـــل مـــا تذكَّـــرُ مـــن نـــوارَ وقـــد نـــأتْ

وتقطَّعـــتْ أســـبابُها ورِمامُـــها [4]

مراكبهن يوم ارتحل الحي ودخلوا في الكنس، جعل الهوادج للنساء بمنزلة الكنس للوحش، ثم قال: وكانت خيامهم المحمولة تصر لجدتها. وتلخيص المعنى: دعتك إلى الاشتياق والنزاع وحملتك عليهما نساء القبيلة حين دخلن هوادجهن جماعات في حال صرير خيامهن المحمولة أو دخلن هوادج غطيت بثياب القطن، والقطن من الثياب الفاخرة عندهم، والضمير في تكنسوا للحي، والمضمر الذي أضيف إليه الخيام للظعن، وقطناً منصوب على الحال إن جعلته جمع قطين، ومفعول به إن جعلته قطناً.

[1] حف الهودج وغيره بالثياب: إذا غطي بها، وحف الناس حول الشيء أحاطوا به. أظل الجدار الشيء: إذا كان في ظل الجدار. العصي هنا: عيدان الهودج. الزوج: النمط من الثياب، والجمع الأزواج. الكلة: الستر الرقيق، والجمع الكلل. القرام: الستر، والجمع القرم، ثم فصل الظعن فقال: هي من كل هودج حف بالثياب يظل عيدانه نمط أرسل عليه، ثم فصل الزوج فقال: هو كلة، وعبر بها عن الستر الذي يلقى فوق الهودج لئلا تؤذي الشمس صاحبته، وعبر بالقرام عن الستر المرسل على جوانب الهودج؛ وتحرير المعنى: الهوادج محفوفة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها، والمضمر بعد القرام للعصي أو الكلة.

[2] الزجل: الجماعات، الواحدة زجلة. النعاج: إناث بقر الوحش، الواحدة نعجة. وجرة: موضع بعينه. العطف جمع العاطف الذي هو الترحم أو من العطف الذي هو الثني. الأرآم: جمع الرئم وهي الظبي الخالص البياض. يقول: تحملوا جماعات كأن إناث بقر الوحش فوق الإبل، شبه النساء في حسن الأعين والمشي بها أو بظباء وجرة في حال ترحمها على أولادها أو في حال عطفها أعناقها للنظر إلى أولادها، شبه النساء بالظباء في هذه الحال لأن عيونها أحسن ما تكون في هذه الحال لكثرة مائها؛ وتحرير المعنى: إنه شبه النساء ببقر توضح وظباء وجرة في كحل أعينها؛ نصب زجلاً على الحال والعامل فيها تحملوا، ونصب عطفاً على الحال، ورفع أرآمها لأنها فاعل والعامل فيها الحال السادة مسد الفعل.

[3] الحفز: الدفع، والفعل حفز يحفز. الأجزاع: جمع جزع وهو منعطف الوادي. بيشة: واد بعينه. الأثل: شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منها. الرضام: الحجارة العظام، الواحدة رضمة، والجنس رضم. يقول: دفعت الظعن، أي ضربت الركاب، لتجد في السير وفارقها قطع السراب، أي لاحت خلال قطع السراب ولمعت، فكأن الظعن منعطفات وادي بيشة أثلها وحجارتها العظام، شبههما في العظم والضخم بهما؛ والضمير الذي أضيف غليه ورضام لبيشة.

[4] نوار: اسم امرأة يشبب بها. النأي: البعد. الرمام: جمع الرمة وهي قطعة من الحبل خلقة ضعيفة. ثم

مُريَّـــــةٌ حلَّـــــت بفيـــــدَ وجـــــاورَتْ

أهـــلَ الحِجـــازِ فـــأينَ منـــكَ مَرَامُـــها[1]

بمشـــــارق الجبلـــــينِ أو بمُحَجَّـــــر

فَتَضَمَّنَتْـــــها فـــــردةٌ فرخامُـــــها[2]

فصُوائِـــــقٌ إن أيمنـــــتْ فمِظَنَّـــــةٌ

فيـــــها وحـــــافُ القـــــهرِ أو طِلْخامُـــــها[3]

فـــــاقطعْ لُبانـــــةً مَـــــنْ تَعَـــــرَّضَ وصلُـــــهُ

ولشـــــرُّ واصِـــــلِ خُلّـــــةٍ صَرَّامُـــــها[4]

أضرب عن صفة الديار ووصف حال احتمال الأحباب بعد تمامها وأخذ في كلام آخر من غير إبطال لما سبق. بل، في كلام الله تعالى، لا تكون إلا بهذا المعنى، لأنه لا يجوز منه إبطال كلامه وإكذابه. قال مخاطباً نفسه: أي شيء تتذكرين من نوار في حال بعدها وتقطع أسباب وصولها ما قوي منها وما ضعف.

[1] مرية: منسوبة إلى مرة. فيد: بلدة معروفة، ولم يصرفها لاستجماعها التأنيث والتعريف، وصرفها سائغ أيضاً لأنها مصوغة على أخف أوزان الأسماء فعادلت الخفة أحد السببين فصارت كأنه ليس فيها إلا سبب واحد لا يمنع الصرف، وكذلك حكم كل اسم كان على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط مستجمعاً للتأنيث والتعريف نحو هند ودعد، وأنشد النحويون:

لم تتلفع فضل مئزرها دعد ولم تفد دعد في اللعب

ألا ترى الشاعر كيف جمع بين اللغتين في هذا البيت؟

يقول: نوار امرأة من مرة حلت بهذه البلدة وحاورت أهل الحجاز، يريد أنها تحل بفيد أحياناً وتجاور أهل الحجاز، وذلك في فصل الربيع وأيام الإنتاج لأن الحال بفيد لا يكون مجاوراً أهل الحجاز لأن بينها وبين الحجاز مسافة بعيدة وتيهاً قذفاً، وتلخيص المعنى أنه يقول: هي مرية تتردد بين الموضعين وبينهما وبين بلادك بعد، وكيف يتيسر لك طلبها والوصول إليها؟

[2] عنى بالجبلين: جبلي طي أجأ وسلمى. المحجر: جبل آخر. فردة: جبل منفرد عن سائر الجبال سمي بها لانفراده عن الجبال. رخام: أرض متصلة بفردة لذلك أضافها إليها. يقول: حلت نوار بمشارق أجأ وسلمى، أي جوانبهما التي تلي المشرق، أو حلت بمحجر فتضمنتها فردة فالأرض المتصلة بها وهي رخام، وإنما يحصي منازلها عند حلولها بفيد، وهذه الجبال قريبة منها بعيدة من الحجاز. تضمن الموضع فلاناً إذا حصل فيه، وضمنته فلاناً إذا حصلته فيه، مثل قولك: ضمنته القبر فتضمنه القبر.

[3] يقال: أيمن الرجل إذا أتى اليمن، مثل أعرق إذا أتى العراق وأخيف إذا أتى خيف منى. مظنة الشيء: حيث يظن كونه فيه، ومن الظعن، بالظاء، وأما قولهم: علق مضنة، وهو من الضن، بالضاد، أي هو شيء نفيس يبخل به. صواعق: موضع معروف من رواه بالزاي معجمة. طلخام: موضع معروف أيضاً.

يقول: وإن انتجعت نحو اليمن فالظن أنها تحل بصوائق من بينها بوحاف القهر أو بطلخام، وهما خاصان الأضافة إلى صوائق. وتلخيص المعنى: أنها إن أتت اليمن حلت بوحاف القهر أو طلخام من صوائق.

[4] اللبانة: الحاجة. الخلة: المودة المتناهية، والخليل والخل والخلة واحد. الصرام: القطاع، فعال من الصرم

واحـــبُ المُجـــامِلَ بـــالجزيلِ وَصَرْمُـــهُ

بـــاقٍ إذا ظَلَعَـــتْ وزاغَ قِوامـــها[1]

بطليـــحِ أســـفارٍ تركـــنَ بقيـــةً

منـــها فـــأخنقَ صُلبُـــها وسَـــنامُها[2]

وإذا تعـــالى لحْمُـــها وتحسَّـــرَتْ

وتقطَّعَـــتْ بعـــدَ الكَـــلالِ خِدامُـــها[3]

فَلَـــها هبِـــابٌ فـــي الزّمـــام كأنَّـــها

صـــهباءُ خـــفّ مـــعَ الجنـــوبِ جَهامُـــها[4]

وهو القطع، والفعل صرم يصرم. ثم أضرب عن ذكر نوار وأقبل على نفسه مخاطباً إياها فقال: فاقطع أربك وحاجتك ممن كان وصله معرضاً للزوال والانتفاض، ثم قال: وشر من وصل محبة أو حبيباً من قطعها، أي شر واصلي الأحباب أو المحبات قطاعها، يذم من كان وصله في معرض الانتكاث والانتقاض. ويروى: والخير واصلي، وهذه أوجه الروايتين وأمثلهما، أي خير واصلي المحبات أو الأحباب إذا رجا غيرهم قطاعها إذا يئس منه. قوله: لبانة من تعرض، أي لبانتك منه، لأن قطع لبانته منك ليس إليك.

[1] حبوته بكذا أحبوه حباء: إذا أعطيته إياه. المجامل: المصانع، ويروى: المحامل، أي الذي يتحمل أذاك كما تتحمل أذاه. بالجزيل أي بالود الجزيل. الجزالة والكمال والتمام، وأصله الضخم والغلظ، والفعل جزل يجزل، والنعت جزل وجزيل، ومنه: خطب جزل وجزيل وعطاء جزل وجزيل، وقد أجزل عطيته وفردها وكثرها. الصرم: القطيعة. الظلع: غمز من الدواب. الزيغ: الميل، والإزاغة الإمالة. قوام الشيء ما يقوم به. يقول: واحب من جاملك وصانعك وداراك بود كامل وافر، ثم قال: وقطيعته باقية إن ظلعت خلته ومال قوامها، أي إن ضعفت أسبابها ودعايمها، أي إن حال المجامل عن كرم العهد فأنت قادر على صرمه وقطيعته فالمضمر الذي أضيف إليه قوامها للخلة وكذلك المضمر في ظلعت.

[2] الطلح والطليح: المعيي، وقد طلحت البعير أطلحه طلحاً أعييته، فطليح فعيل بمعنى مفعول بمنزلة الجريح والقتيل، وطلح فعل في معنى مفعول بمنزلة الذبح والطحن بمعنى المذبوح والمطحون. أسفار: جمع سفر. الإحناق: الضمر. الباء في قوله بطليح من صلة وصرمه. يقول: إذا زال قوام خلته فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة أعيتها الأسفار وتركت بقية من لحمها وقوتها فضمر صلبها وسنامها؛ وتلخيص المعنى: فأنت تقدر على قطيعته بركوب ناقة قد اعتادت الأسفار ومرنت عليها.

[3] تغالى لحمها: ارتفع إلى رؤوس العظام، من الغلاء وهو الارتفاع، ومنه قولهم: غلا السعر يغلو غلاء، إذا ارتفع. تحسرت أي صارت حسيراً، أي كالة معيية عارية عن اللحم. الخدام: جمع خدم، والخدم جمع خدمة، وهي سيور تشد بها النعال إلى أرساغ الإبل.

يقول: فإذا ارتفع لحمها إلى رؤوس عظامها وأعيت وعريت عن اللحم وتقطعت السيور التي تشد بها نعالها بعد إعيائها. وجواب إذا في البيت الذي بعده.

[4] الهباب: النشاط. الصهباء: الحمراء، يريد كأنها سحابة صهباء، فحذف الموصوف. خف يخف خفوقاً: أسرع. الجهام: السحاب الذي أراق ماءه. يقول: فلها في مثل هذا الحال نشاط في السير في حال قود

أو مُلْمِـــعٌ وسَـــقَتْ لأحقـــبَ لاحَـــهُ

طَـــرّدُ الفُحـــولِ وضربُـــها وكِدامُـــها[1]

يعلـــو بـــها حَـــدَبَ الإكـــامِ مُسَـــحَّجٌ

قـــد رابـــه عصيانـــها ووحامـــها[2]

بـــأحزَّة الثلبـــوتِ يربَـــأ فوقـــها

قفـــرَ المراقِـــبِ خوفُـــها آرَامُـــها[3]

حتـــى إذا سَـــلَخا جُمـــادى ســـتة

جَـــزَآ فطـــالَ صِيامُـــهُ وصِيامُـــها[4]

زمامها فكأنها في سرعة سيرها سحابة حمراء قد ذهبت الجنوب بقطعها التي هراقت ماءها فانفردت عنها، وتلك أسرع ذهاباً من غيرها.

[1] ألمعت الأتان فهي ملمع: أشرق طبياها باللبن. وسقت: حملت، تسق وسقاً. الأحقب: العير الذي في وركيه بياض أو في خاصرتيه. لاحه ولوحه غيره. ويروى: طرد الفحولة ضربها وعذابها؛ الفحول والفحولة والفحالة: جمع فحل. الكدام: يجوز أن يكون بمنزلة الكدم وهو العض، وأن يكون بمنزلة المكادمة وهي المعاضة. يقول: كأنها صهباء أو أتان أشرقت أطباؤها باللبن وقد حملت تولباً لفحل أحقب قد غير وهزل ذلك الفحل طرده الفحول وضربه إياها وعضه أو طرد الفحول وضربها وعضها إياه. وتلخيص المعنى: إنها تشبه في شدة سيرها هذه السحابة أو هذه الأتان التي حملت تولباً لمثل هذا الفحل الشديد الغيرة عليها فهو يسوقها سوقاً عنيفاً.

[2] الإكام: جمع أكم، وكذلك الآكام والأكم جمع أكمة، ويجمع الآكام على الأكم. حدبها: ما احدودب منها. السحج: القشر والخدش العنيف، والتسحيج مبالغة السحج. الوحام والوحم: اشتهاء الحبلى للشيء، والفعل وحمت توحم وتاحم وتيحم، وهذا القياس مطرد في فعل يفعل من معتل الفاء.

يقول: يعلي هذا الفحل الأتان الأكام إتعاباً لها وإبعاداً بها عن الفحول وقد شككه في أمرها عصيانها إياه في حال حملها واشتهاؤها إياه قبله. والمسحج: العير المعضض.

[3] الأحزة: جمع حزيز وهو مثل القف. ثلبوت: موضع بعينه. ربأت القوم وربأت لهم أربأ ربأ: كنت ربيئة لهم. القفر: الخالي، الجمع القفار. المراقب: جمع مرقبة وهو الموضع الذي يقوم عليه الرقيب، ويريد بالمراقب الأماكن المرتفعة. الآرام: أعلام الطريق، الواحد أرم.

يقول: يعلو العير بالأتان الإكام في قفاف هذا الموضع ويكون رقيباً لها فوقها في موضع خالي الأماكن المرتفعة وإنما يخاف أعلامها، أي يخاف استتار الصيادين بأعلامها. وتلخيص المعنى: أنهما بهذا الموضع والعير يعلو إكامه لينظر إلى أعلامها هل يرى صائداً استتر بعلم منها يريد أن يرميها.

[4] سلخت الشهر وغيره أسلخه سلخاً: مر عليّ، وانسلخ الشهر نفسه. جمادى: اسم للشتاء، سمي بها بجمود الماء فيه، ومنه قول الشاعر:

في ليلة من جمادى ذات أندية لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

أي من الشتاء. جزأ الوحش يجزأ جزءاً: اكتفى بالرطب عن الماء. الصيام: الإمساك في كلام العرب، ومنه

رَجَعَـــــا بأَمْرِهِمـــــا إلـــــى ذي مِـــــرَّةٍ

حَصِيـــــدٍ ونُجْـــــعُ صريمـــــةٍ إبرامُـــــها[1]

وَرَمَـــــى دَوَابرَهـــــا اسَّـــــفا وتـــــهيَّجت

ويـــــحُ المصـــــايفِ ســـــومُها وسِـــــهامُها[2]

فتنازَعـــــا سَـــــبِطاً يَطـــــيرُ ظِلالُـــــهُ

كدُخـــــانِ مُشـــــعَلَةٍ يُشـــــبُّ ضِرَامُـــــها[3]

مشـــــمولةٍ غُلِثـــــت بنـــــابتِ عَرفَـــــجٍ

كَدُخـــــانِ نـــــارٍ ســـــاطِعٍ أسـنامُها[4]

الصوم المعروف لأنه إمساك عن المفطرات.

يقول: أقاما بالثلبوت حتى مرّ عليهما الشتاء ستة أشهر الربيع فاكتفيا بالرطب عن الماء وطال إمساك العير وإمساك الأتان عنه، وستة بدل من جمادى لذلك نصبها، واراد ستة أشهر فحذف أشهراً لدلالة الكلام عليه.

[1] الباء في بأمرهما زائدة إن جعلت رجعا من الرجع، أي رجعا أمرهما أي أسنداه، وإن جعلته من الرجوع كانت الباء للتعدية. المرة: القوة، والجمع المرر، وأصلها قوة الفتل، والإمرار إحكام الفتل. الحصد: المحكم، والفعل حصد يحصد، وقد أحصدت الشيء أحكمته. النجح والنجاح: حصول المراد. الصريمة: العزيمة التي صرمها صاحبها عن سائر عزائمه بالجد في إمضائها والجمع الصرائم. الإبرام: الإحكام.

يقول: أسند العير والأتان أمرهما إلى عزم أو رأى محكم ذي قوة وهو عزم العير على الورود أو رأيه فيه، ثم قال: وإنما يحصل المرام بإحكام العزم.

[2] الدوابر: مآخير الحوافر. السفا: شوك البهمي وهو ضرب من الشوك. هاج الشيء يهيج هيجاناً واهتاج اهتياجاً وتهيج تهيجاً: تحرك ونشأ، وهجته هيجاً وهيجته تهييجاً. المصايف: جمع المصيف وهو الصيف. السوم: المرور، والفعل سام يسوم. السهام: شدة الحر.

يقول: وأصاب شوك البهمي مآخير حوافرها، وتحرك ريح الصيف مرورها وشدة حرها، يشير بهذا إلى انقضاء الربيع ومجيء الصيف واحتياجهما إلى ورود الماء.

[3] التنازع: مثل التجاذب. السبط: الممتد الطويل. كدخان مشعلة أي نار مشعلة، فحذف الموصوف. شب النار وإشعالها واحد. والفعل منه شب يشب. الضرام: دقاق الحطب، واحدها ضرم وواحد الضرم ضرمة، وقد ضرمت النار واضطرمت وتضرمت التهبت، وأضرمتها وضرمتها أنا. سبطاً أي غباراً سبطاً، فحذف الموصوف.

يقول: فتجاذب العير والأتان في عدوهما نحو الماء غباراً ممتداً طويلاً كدخان نار موقدة تشعل في دقاق حطبها، وتلخيص المعنى. أنه جعل الغبار الساطع بينهما يعدوهما كثوب يتجاذبانه، ثم شبهه في كثافته وظلمته بدخان نار موقدة.

[4] مشمولة: هبت عليها ريح الشمال، وقد شمل الشيء أصابته ريح الشمال. الغلث والعلث: الخلط، والفعل

فمضَـــــى وقدَّمـــــها وكـــــانت عـــــادةً

منـــــهُ إذا هـــــيَ عـــــرَّدَتْ إقدامُـــــها[1]

فتوَّســـــطا عُـــــرضِ السَـــــريّ وصدَّعـــــا

مســـــجورةً مُتجـــــاوراً قُلاَّمُـــــها[2]

محفوفـــــةً وســـــطَ الـــــيراعِ يظلُّـــــها

منـــــهُ مصـــــرَّع غابـــــةٍ وقيامُـــــها[3]

غلث يغلث، بالغين والعين جميعاً. النابت: الغض، ومنه قول الشاعر:

ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم

أي غضه. العرفج: ضرب من الشجر، ويروى: عليت بنابت، أي وضع فوقها. الأسنام: جمع سنام؛ ويروى: بثابت أسنامها، وهو الارتفاع والرفع جميعاً.

يقول: هذه النار قد أصابتها الشمال وقد خلطت بالحطب اليابس والرطب الغض كدخان نار قد ارتفع أعاليها، وسنام الشيء أعلاه، شبه الغبار الساطع من قوائم العير والأتان بنار أوقدت بحطب يابس تسرع فيه النار وحطب غض، وجعلها كذلك ليكون دخانها أكثف فيشبه الغبار الكثيف، ثم جعل هذا الدخان الذي شبه الغبار كدخان نار قد سطع أعاليها في الاضطرام والالتهاب ليكون دخانه أكثر، وجر مشمولة لأنها صفة لمشعلة، وقوله: كدخان ساطع أسنامها، صفة أيضاً، إلا أنه كرر قوله كدخان لتفخيم الشأن وتعظيم القصة، كنظائره من مثل:

أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه

وهو أكثر من أن يحصى.

[1] التعريد: التأخر والجبن. الإقدام هنا بمعنى التقدمة لذلك أنث فعلها فقال وكانت، أي وكانت تقدمة الأتان عادة من العير؛ وهذا مثل قول الشاعر:

غفرنا وكانت من سجيتنا الغفر

أي وكانت المغفرة من سجيتنا؛ وقال رويشد بن كثير الطائي.

يا أيها الراكب المزجي مطيته سائل بني أسد ما هذه الصوت

أي ما هذه الاستغاثة، لأن الصوت مذكر.

يقول: فمضى العير نحو الماء وقدم الأتان لئلا نتأخر، وكانت تقدمة الأتان عادة من العير إذا تأخرت هي، أي خاف العير تأخرها.

[2] العرض: الناحية. السري: النهر الصغير، والجمع الأسرية. التصديع التشقيق. السجر: الملء، أي عيناً مسجورة، فحذف الموصوف لما دلت عليه الصفة. القلام: ضرب من النبت. يقول: فتوسط العير والأتان جانب النهر الصغير وشقا عيناً مملوءة ماء قد تجاوز قلامها، أي كثر هذا الضرب من النبت عليها. وتحرير المعنى: أنهما قد وردا عيناً ممتلئة ماء فدخلا فيها من عرض نهرها وقد تجاور نبتها.

[3] اليراع: القصب. الغابة: الأجمة، والجمع الغاب. المصرع: مبالغة المصروع. القيام: جمع قائم.

يقول: قد شقا عيناً قد حفت بضروب النبت والقصب فهي وسط القصب يظلها من القصب ما صرع من غابتها وما قام منها، يريد أنها في ظل قصب بعضه مصروع وبعضه قائم.

أفتلْـــــــكَ أمْ وحشـــــــيةٌ مســـــــبوعةٌ

خذلـــتْ وهاديـــةُ الصِّـــوَارِ قوامُـــها[1]

خنســـاءُ ضيَّعـــتِ الفَريـــرَ فلـــم تـــرم

عُـــرض الشَّـــقائق طوفـــها وبُغامُـــها[2]

لمعفَّـــرٍ قـــهدٍ تنـــازعَ شِـــلوَهُ

غُبـــسٌ كواســـبُ لا يُمـــنُّ طعامُـــها[3]

صـــادفنَ منـــها غـــرَّةً فأصبنـــها

إنَّ المنايـــا لا تطيـــش ســـهامها[4]

---

[1] مسبوعة أي قد أصابها السبع بافتراس ولدها. الهادية: المتقدمة والمتقدم أيضاً، فتكون التاء إذن للمبالغة. الصوار والصيار: القطيع من بقر الوحش، والجمع الصيران. قوام الشيء: ما يقوم به هو.

يقول: أفتلك الأتان المذكورة تشبه ناقتي في الإسراع في السير أم بقرة وحشية قد افترس السبع ولدها حين خذلته وذهبت ترعى مع صواحبها وقوام أمرها الفحل الذي يتقدم القطيع من بقر الوحش. وتحرير المعنى: أناقتي تشبه تلك الأتان أو هذه البقرة التي خذلت ولدها وذهبت ترعى مع صواحبها وجعلت هادية الصوار قوام أمرها فافترست السباع ولدها فأسرعت في السير طالبة لولدها.

[2] الخنس: تأخر في الأرنبة. الفرير: ولد البقرة الوحشية، والجمع صرار على غير قياس. الريم: البراح، والفعل رام يريم. العرض: الناحية. الشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رملتين. البغام صوت رقيق.

يقول: هذه الوحشية قد تأخرت أرنبتها والبقر كلها خنس وقد ضيعت ولدها، أي خذلته حتى افترسته هالسباع فذلك تضييعها إياه، ثم قال: ولم يبرح طوفها وخوارها نواحي الأرضين الصلبة في طلبه. وتحرير المعنى: ضيعته حتى صادته السباع فطلبته طائفة وصائحة فيما بين الرمال.

[3] العفر والتعفير: الإلقاء على العفر وهو أديم الأرض. القهد: الأبيض. التنازع: التجاذب. الشلو: العضو، وقيل هو بقية الجسد، والجمع الأشلاء. الغبس جمع أغبس وغبساء، والغبسة: لون كلون الرماد. المن: القطع، والفعل من يمن، ومنه قوله تعالى: «لهم أجر غير ممنون»؛ ومنه سمي الغبار منياً لانقطاع بعض أجزائه عن بعض، والدهر والمنية منوناً لقطعهما أعمار الناس وغيرهم.

يقول: هي تطوف وتبغم لأجل جؤذر ملقى على الأرض أبيض قد تجاذبت أعضاءه ذئاب أو كلاب غبس لا يقطع طعامها، أي لا تفتر في الاصطياد فينقطع طعامها، هذا إذا جعلت غبساً من صفة الذئاب، وإن جعلتها من صفة الكلاب فمعناه: لا يقطع أصحابها طعامها؛ وتحرير المعنى: إنها تجدّ في الطلب لأجل فقدها ولداً قد ألقي على أديم الأرض وافترسته كلاب أو ذئاب صوائد قد اعتادت الاصطياد، وبقر الوحش بيض ما خلا أوجهها وأكارعها، لذلك قال قهد. الكسب: الصيد في البيت.

[4] الغرة: الغفلة. الطيش: الانحراف والعدول.

يقول: صادفت الكلاب أو الذئاب غفلة من البقرة فأصبن تلك الغفلة أو تلك البقرة بافتراس ولدها، أي وجدتها غافلة عن ولدها فاصطادته. ثم قال: وإن الموت لا تطيش سهامه، أي لا مخلص من هجومه، واستعار له سهاماً واستعار للأخطاء لفظ الطيش، لأنه السهم إذا أخطأ الهدف فقد طاش عنه.

بـــــاتت وأســـــبل واكـــــفٌ مـــــن ديمـــــة

يُـــــروي الخمـــــائلَ دائمـــــاً تســـــجامها[1]

يعلـــــو طريقـــــةَ متنـــــها متواتـــــرٌ

فـــــي ليلـــــةٍ كَفَـــــرَ النجـــــومَ غَمامُـــــها[2]

تجتـــــافُ أصـــــلاً قالصـــــاً مُتنبِّـــــذاً

بعجـــــوبِ أنقـــــاء يميـــــلُ هُيامُـــــها[3]

وتُضـــــيء فـــــي وجـــــه الظَّـــــلام منـــــيرةً

كجُمانـــــةِ البحـــــريِّ سُـــــلَّ نِظامُـــــها[4]

---

[1] الوكف والوكفان واحد، والفعل منهما وكف يكف أي قطر.

الديمة: مطرة تدوم وأقلها نصف يوم وليلة، والجمع الديم، وقد دومت السحابة إذا كان مطرها ديمة، وأصل ديمة دومة فقلبت الواو ياء لإنكسار ما قبلها ثم قلبت في الديم حملاً على القلب في الواحد. الخمائل: جمع خميلة وهي كل رملة ذات نبت عند الأكثر من الأئمة، وقال جماعة منهم: وهي أرض ذات شجر. التسجم: في معنى السجم أو السجوم، يقال: سجم الدمع وغيره يسجمه سجماً فسجم هو يسجم سجوماً أي صبه فانصب.

يقول: باتت البقرة بعد فقدها ولدها وقد أسبل مطر واكف من مطر دائم يروي الرمال المنبتة والأرضين التي بها أشجار في حال دوام سكبها الماء، أي باتت في مطر دائم الهطلان. وواكف يجوز أن يكون صفة مطر ويجوز أن يكون صفة سحاب.

[2] طريقة المتن: خط من ذنبها إلى عنقها. الكفر: التغطية والستر.

يقول: يعلو صلبها قطر متواتر في ليلة ستر غمامها نجومها.

[3] الاجتياف: الدخول في جوف الشيء، ويروى: تجتاب، بالباء، أي تلبس. التنبذ: التنحي من النبذة وهي الناحية. العجب: أصل الذنب، والجمع العجوب، فاستعاره لأصل النقا، والنقا~: الكثيب من الرمل: والتثنية نقوان ونقيان، والجمع أنقاء. الهيام: ما لا تماسك به من الرمال، وأصله من هام يهيم.

يقول: وقد دخلت البقرة الوحشية في جوف أصل شجرة منتح عن سائر الشجر وقد قلصت أغصانها وذلك الشجر في أصول كثبان من الرمل يميل ما لا يتماسك منها عليها لهطلان المطر وهبوب الريح. وتحرير المعنى: إنها تستتر من البرد والمطر بأغصان الشجر ولا تقيها البرد والمطر لتقلصها وتنهال كتبان الرمل عليها مع ذلك.

[4] الإضاءة والإنارة: يتعدى فعلهما ويلزم، وهما لازمان في البيت. وجه الظلام: أوله، وكذلك وجه النهار. الجمان والجمانة: درة مصوغة من الفضة، ثم يستعاران للدرة، وأصله فارسي معرب وهو كمانة.

يقول: وتضيء هذه البقرة في أول ظلام الليل كدرة الصدف البحري أو الرجل البحري حين سل النظام منها، شبه البقرة ولا تستقر كما تتحرك وتنتقل الدرة التي سل نظامها، وإنما شبهها بها لأنها بيضاء متلألئة ما خلا أكارعها ووجهها.

openkanar.com

حتـــى إذا انحســـر الظَّـــلام وأســـفرت

بكـــرت تـــزِلُّ عـــن الـــثَّرى أزلامُـــها[1]

عَلِـــهَت تـــردَّدُ فـــي نـــهاءِ صُعـــائد

ســـبعاً تُؤامـــاً كـــاملاً أيَّامـــها[2]

حتـــى إذا يئســـت وأســـحَقَ حـــالقٌ

لـــم يُبلِـــهِ إرضاعُـــها وفطامُـــها[3]

فتوجَّســـت رزَّ الأنيـــسِ فراعـــها

عـــن ظـــهر غيـــبٍ والأنيـــسُ سَـــقامُها[4]

فغـــدَتْ كـــلا الفرجـــينِ تَحْسَـــبُ أنَّـــهُ

مَوْلـــى المخافـــةِ خَلْفُـــها وأمامُـــها[5]

---

[1] الانحسار: الانكشاف والانجلاء. الإسفار: الإضاءة إذا لزم فعلها الفاعل، والأزلام: قوائمها، جعلها أزلاماً لاستوائها، ومنه سميت القداح أزلاماً، والتزليم التسوية، وواحد الأزلام زلم، والزلمة القد، ومنه قولهم: هو العبد زلمه، أي قده قد العبد. يقول: حتى إذا انكشف وانجلى ظلام الليل وأضاء بكرت البقرة من مأواها فتنزل قوائمها عن التراب الندي لكثرة المطر الذي أصابه ليلاً.

[2] العله والهلع: الانهماك في الجزع والضجر؛ ويروى تلبد، أي تتحير وتتعمه. النهاء جمع نهي ونهي، بفتح النون وكسرها: وهما الغدير، وكذلك الأنهاء. صعائد: موضع بعينه. التؤام: جمع توأم.

يقول: أمعنت في الجوع وترددت متحيرة في وهاد هذا الموضع ومواضع غدرانه سبع ليال تؤام للأيام وقد كملت أيام تلك الليالي، أي ترددت في طلب ولدها سبع ليال بأيامها، وجعل أيامها كاملة إشارة إلى أنها كانت من أيام الصيف وشهور الحر.

[3] الإسحاق: الإخلاق، والسحق: الخلق، الحالق: الضرع الممتلئ لبناً.

يقول: حتى إذا يئست البقرة من ولدها وصار ضرعها الممتلئ لبناً خلقاً لانقطاع لبنها، ثم قال: ولم يبل ضرعها إرضاعها ولدها ولا فطامها إياه وإنما أبلاه فقدها إياه.

[4] الرز: الصوت الخفي. الأنيس والإنس والأناس والناس واحد. راعها: أفزعها. السقام والسقم واحد، والفعل سقم يسقم، والنعت سقيم، وكذلك النعت مما كان من أفعال فعل يفعل من الأدواء والعلل نحو مريض. يقول: فتسمعت البقرة صوت الناس فأفزعها ذلك وإنما سمعته عن ظهر غيب، أي لم ترَ الأنيس، ثم قال: والناس سقم الوحش وداؤها لأنهم يصيدونها وينقصون منها نقص السقم من الجسد. وتحرير المعنى: إنها سمعت صوتاً ولم تر صاحبه فخافت ولا غرو أن تخاف عند سماعها صوت الناس لأن الناس يبيدونها ويهلكونها، والتقدير: فتسمعت رز الأنيس عن ظهر غيب فراعها والأنيس سقامها.

[5] الفرج: موضع المخافة، والفرج ما بين قوائم الدواب، فما بين اليدين فرج، والجمع فروج. وقال ثعلب: إن المولى في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء، كقوله تعالى: «مأواكم النار هي مولاكم» أي أولى بكم.

حتـــــى إذا يئـــــسَ الرُّمـــــاةُ وأرســـــلوا

عُضْفـــــاً دَوَاجِـــــنَ قـــــافِلاً أعصامُـــــها[1]

فلحقـــــنَ واعْتَكَـــــرَتْ لـــــها مُدْرِيّـــــةٌ

كالسَّـــــمهريَّةِ حَدُّهـــــا وتمامُـــــها[2]

لِنَذودَهُـــــنَّ وأيقَنَـــــتْ إنْ لـــــم تـــــذدْ

أنْ قـــد أحَـــمَّ مـــنَ الحُتـــوفِ حِمامُـــها[3]

يقول: فغدت البقرة وهي تحسب أن كلا فرجيها مولى المخافة، أي موضعها وصاحبها، أو تحسب أن كل فرج من فرجيها هو الأولى بالمخافة منه، أي بأن يخاف منه. وتحرير المعنى: إنها لم تقف على أن صاحب الرز خلفها أم أمامها فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها. وقال الأصمعي: أراد بالمخافة الكلاب خلفها أو أمامها فهي تظن كل جهة من الجهتين موضعاً للكلاب والكلاَّب، والضمير الذي هو اسم أن عائد إلى كلا وهو مفرد اللفظ وإن كان يتضمن معنى التثنية، ويجوز حمل الكلام بعده على لفظه مرة وعلى معناه أخرى، والحمل على اللفظ أكثر، وتمثيلهما: كلا أخويك سبني وكلا أخويك سباني، وقال الشاعر:

كلاهما حين جد الجري بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي

حمل أقلعا على معنى كلا وحمل رابياً على لفظه، وقال الله عز وجل: «كلتا الجنتين آتت أكلها» حملا على لفظ كلتا، ونظير كلا وكلتا في هذين الحكمين كل لأنه مفرد اللفظ وإن كان معناه جمعاً ويحمل الكلام بعده على لفظه ومعناه، وكلاهما كثير، قال الله تعالى: «وكل أتوه داخرين»، فهذا محمول على المعنى، وقال تعالى: «إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبداً»، وهذا محمول على اللفظ. ومولى المخافة في محل الرفع لأنه خبر أن وخلفها وأمامها خبر مبتدأ محذوف تقديره هو خلفها وأمامها، ويكون تفسير كلا الفرجين، ويجوز أن يكون بدلاً من كلا الفرجين وتقديره فغدت كلا الفرجين خلفها وأمامها تحسب أنه مولى المخافة.

[1] الغضف من الكلاب: المسترخية الآذان، والغضف استرخاء الأذن، يقال: كلب أغضف وكلبة غضفاء، وهو مستعمل في غير الكلاب استعماله فيها. الدواجن: المعلَّمات. القفول: اليبس. أعصامها: بطونها، وقيل بل سواجيرها وهي قلائدها من الحديد والجلود وغير ذلك، يقول: حتى إذا يئس الرماة من البقرة وعلموا أن سهامهم لا تنالها وأرسلوا كلاباً مسترخية الآذان معلمة ضوامر البطون أو يابسة السواجير.

[2] عكر واعتكر أي عطف. المدرية: طرف قرنها. السمهريّة من الرماح: منسوبة إلى سمهر رجل كان بقرية تسمى خطا من قرى البحرين وكان مثقفاً ماهراً فنسب إليه الرماح الجيدة. يقول فلحقت الكلاب البقرة وعطفت عليها ولها قرن يشبه الرماح في حدتها وتمام طولها، أي أقبلت البقرة على الكلاب وطعنتها بهذا القرن الذي هو كالرماح.

[3] الذود: الكف والرد. الإحمام والإجمام: القرب. الحتف: قضاء الموت، وقد يسعى الهلاك حتفاً. الحمام: تقدير الموت، يقال: حم كذا أي قدر. يقول: عطفت البقرة وكرت لترد وتطرد الكلاب عن نفسها وأيقنت أنها إن لم تذدها قرب موتها من جملة حتوف الحيوان، أي أيقنت أنها إن لم تطرد الكلاب قتلتها الكلاب.

فَتَقَصَّـــدَت منـــها كَسَـــابِ فضُرِّجـــتْ

بـــدمٍ وغُـــودِرَ فـــي المَكَـــرِ سُـــخامُها[1]

فبتلـــكَ إذ رقَـــصَ اللَّوامـــعُ بـــالضّحى

واجتـــابَ أردِيَـــةَ السّـــرابِ إكامُـــها[2]

أقضـــي اللُّبانـــةَ لا أُفـــرِّطُ ريبَـــةً

أو أنْ يَلُـــومَ بحاجَـــةٍ لَوَّامُـــها[3]

أوَلَـــمْ تكُـــنْ تـــدري نَـــوَارُ بـــأنَّني

وَصَّـــالُ عَقْـــدِ حَبـــائِلٍ جَذَّامُـــها[4]

تَـــرَّاكُ أمكنَـــةٍ إذا لـــمْ أرْضَـــها

أو يَعْتَلِـــقْ بعـــضَ النّفـــوسِ حمامُـــها[5]

---

[1] أقصد وتقصد: قتل. كساب، مبنية على الكسرة: اسم كلبة، وكذلك سخام. وقد روي بالحاء المهملة.
يقول: فقتلت البقرة كساب من جملة تلك الكلاب فحمرتها بالدم وتركت سخاماً في موضع كرها صريعة، أي قتلت هاتين الكلبتين. التضريج: التحمير بالدم، ضرجته فتضرج، ويريد بالمكر موضع كرها.

[2] يقول: فبتلك الناقة إذ رقصت لوامع السراب بالضحى، أي تحركت ولبست الإكام أردية من السراب. وتحرت المعنى. فبتلك الناقة التي أشبهت البقرة والأتان أقضي حوائجي في الهواجر، ورقص لوامع السراب ولبس الإكام أرديته كناية عن احتدام الهواجر.

[3] اللبانة: الحاجة: التفريط: التضييع وتقدمة العجز. الريبة: التهمة، واللوام مبالغة اللائم واللوَّام جمع اللائم.
يقول: بركوب هذه الناقة وإتعابها في حر الهواجر أقضي وطري ولا أفرط في طلب بغيتي ولا أدع ريبة إلا ان يلومني لائم.
وتحرير المعنى: إنه لا يقصر ولكن لا يمكنه الاحتراز عن لوم اللوام إياه، وأو في قوله: أو أن يلوم، بمعنى إلا، ومثله قولهم: لألزمنه أو يعطيني حقي، أي إلا أن يعطيني حقي، وقال امرؤ القيس:

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

أي إن أن نموت.

[4] الحبائل: جمع الحبالة وهي مستعارة للعهد والمودة هنا. الجذم: القطع، والفعل جذم يجذم، والجذام مبالغة الجاذم. ثم رجع إلى التشبيب بالعشيقة فقال: أو لم تكن تعلم نوار أني وصال عقد العهود والمودات وقطاعها، يريد أنه يصل من استحق الصلة ويقطع من استحق القطيعة.

[5] يقول: إني تراك أماكن إذا لم أرضها إلا أن يرتبط نفسي حمامها فلا يمكنها البراح، وأراد ببعض النفوس هنا نفسه، هذا أوجه الأقوال وأحسنها، ومن جعل بعض النفوس بمعنى كل النفوس فقد أخطأ لأن بعضاً لا يفيد العموم والاستيعاب. وتحرير المعنى: إني لا أترك الأماكن التي أجتويها وأقليها إلا أن أموت.

بـــل أنْـــتَ لا تَدريـــنَ كَـــمْ مـــن ليلـــة
طَلْـــقٍ لذيـــذٍ لـــهوُها ونِدامُـــها[1]
قَـــدْ بـــتُّ ســـامِرَها وغَايَـــةَ تـــاجرٍ
وافيْـــتُ إذْ رُفِعَـــتْ وَعـــزَّ مُدامُـــها[2]
أُغلـــي السِّـــباءَ بكُـــلِّ أَدْكَـــنَ عـــاتقٍ
أوْ جَوْنَـــةٍ قُدِحَـــتْ وَفُـــضَّ ختامُـــها[3]
بصبـــوحِ صافيـــةٍ وَجَـــذْبٍ كَرِينَـــةٍ
بمُوَتَّـــرٍ تأتالُـــهُ إبهامُـــها[4]
بـــاكَرْتُ حاجَتَـــها الدّجـــاجَ بِسُـــحْرَةٍ
لأُعَـــلَّ مِنْـــها حـــينَ هَـــبَّ نِيامُـــها[5]

---

[1] ليلة طلق وطلقة: ساكنة لا حر فيها ولا قر. الندام: جمع نديم مثل الكرام في جمع كريم، والندام أيضاً المنادمة مثل الجدال والمجادلة، والندام في البيت يحتمل الوجهين. أضرب عن الإخبار للمخاطبة فقال: بل أنت يا نوار لا تعلمين كم من ليلة ساكنة غير مؤذية بحر ولا برد لذيذة اللهز والندماء أو المنادمة. وتحرير المعنى: بل أنت تجهلين كثرة الليالي التي طابت لي واستلذذت لهوي وندمائي فيها أو منادمتي الكرام فيها.

[2] الغاية: راية ينصبها الخمار ليعرف مكانه. وأراد بالتاجر الخمار. وافيت المكان: أتيته. المدام: المدامة: الخمر، سميت بها لأنها قد أديمت في دنها. يقول: قد بت محدثاً لك تلك الليلة، أي كنت سامر ندمائي ومحدثهم فيها، ورب راية خمار أتيتها حين رفعت ونصبت وغلت خمرها وقل وجودها، يتمدح بكونه لسان أصحابه وبكونه جواداً لاشترائه الخمر غالية لندمائه.

[3] سبأت الخمر أسبؤها سبأ وسباء: اشتريتها. أغليت الشيء: اشتريته غالياً وصيرته غالياً ووجدته غالباً. الأدكن: الذي فيه دكنة كالخز الأدكن، أراد بكل زق أدكن. الجونة السوداء، أراد أو خابية سوداء قدحت. القدح: الغرف. الفض: الكسر. الخاتم والخاتام والخيتام والختام واحد.

يقول: اشتري الخمر غالية السعر باشتراء كل زق أدكن أو خابية سوداء قد فض ختامها وأغترف منها. وتحرير المعنى: أشتري الخمر للندماء عند غلاء السعر وأشتري كل زق مقير أو خابية مقيرة، وإنما قيرا لئلا يرشحا بما فيهما، ويسرع صلاحه وانتهاؤه منتهى إدراكه، وقوله: قدحت وفض ختامها، فيه تقديم وتأخير تقديره: فض ختامها وقدحت لأنه ما لم يكسر ختامها لا يمكن اغتراف ما فيها من الخمر.

[4] الكرينة: الجارية العوادة، والجمع الكرائن. الائتيال: المعالجة. أراد بالموتر العود.

يقول: وكم من صبوح خمر صافية وجذب عوادة موتراً تعالجه إبهام العوادة. وتحرير المعنى: كم من صبوح من خمر صافية استمتعت باصطحابها وضرب عوادة عودها استمعت بالإصغاء إلى أغانيها.

[5] يقول: باكرت الديوك لحاجتي إلى الخمر، أي تعاطيت شربها قبل أن يصدح الديك، لأسقى منها مرة بعد أخرى حين استيقظ نيام السحرة، والسحرة والسحر بمعنى، والدجاج اسم للجنس يعم ذكوره وإناثه،

وغـــــداة ريـــــحٍ قَـــــدٍ وزعـــــتُ وقِـــــرة

قـــد أصبحـــت بيـــد الشـــمال زمامـــها[1]

ولقـــد حميـــت الحـــيَّ تحمـــلُ شِـــكَّتي

فُـــرطٌ وشـــاحي إذ غـــدوت لجامُـــها[2]

فعلـــوتُ مرتقبـــاً علـــى ذي هبـــوة

حَـــرجٍ إلـــى أعْلامِـــهنَّ قَتامُـــها[3]

حتـــى إذا أَلْقَـــتْ يَـــداً فـــي كـــافر

وأجـــنّ عَـــوْراتِ الثّغـــور ظَلامُـــها[4]

أسْـــهَلْتُ وانتصبَـــتْ كجـــذْعِ منيفـــة

جـــرداءَ يَحْصَـــرُ دونَـــها جُرَّامُـــها[5]

والواحد دجاجة، وجمع الدجاج دجج، والدجاج، بكسر الدال، لغة غير مختارة. وتحرير المعنى: باكرت صياح الديك لأسقى من الخمر سقياً متتابعاً.

[1] القرة والقر: البرد.

يقول: كم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح، وبرد قد ملكت الشمال زمامه قد كففت عادية البرد عن الناس بنحر الجزر لهم. وتحرير المعنى: وكم من برد كففت غرب عاديته بإطعام الناس.

[2] الشكة: السلاح. الفرط: الفرس المتقدمة السريعة الخفيفة. الوشاح والإشاح بمعنى، والجمع الوشح.

يقول: ولقد حميت قبيلتي في حال حمل فرس متقدمة سريعة سلاحي ووشاحي لجامها إذا غدوت، يريد أنه يلقي لجام الفرس على عاتقه ويحرج منه يده حتى يصير بمنزلة الوشاح، يريد أنه يتوشح بلجامها لفرط الحاجة إليه حتى إذا ارتفع صراخ ألجم الفرس وركبها سريعاً. وتحرير المعنى: ولقد حميت قبيلتي وأنا على فرس أتوشح بلجامها إذا نزلت لأكون متهيئاً لركوبها.

[3] المرتقب: المكان المرتفع الذي يقوم عليه الرقيب. الهبوة: الغبرة. الحرج: الضيق جداً. الأعلام: الجبال والرايات. القتام: الغبار.

يقول: فعلوت عند حماية الحي مكاناً عالياً، أي كنت ربيئة على ذي هبوة. أي على جبل ذي هبوة، وقد قرب قتام الهبوة إلى أعلام فرق الأعداء وقبائلهم، أي ربأت لهم على جبل قريب من جبال الأعداء ومن راياتهم.

[4] الكافر: الليل، سمي به لكفره الأشياء أي لستره، والكفر، الستر، والأجنان الستر أيضاً. لثغر: موضع المخافة، والجمع الثغور، وعورته أشده مخافة.

يقول: حتى إذا ألقت الشمس يدها في الليل، أي ابتدأت في الغروب، وعبر عن هذا المعنى بإلقاء اليد لأن من ابتدأ بالشيء قيل ألقى يده فيه، وستر الظلام مواضع المخافة، والضمير بعد ظلامها للعورات. وتحرير المعنى: حتى إذا غربت الشمس وأظلم الليل.

[5] أسهل: أتى السهل من الأرض. المنيفة: العالية الطويلة. الجرداء: للقليلة السعف والليف، مستعارة من

رفَّعْتُـــــها طَـــــرْدَ النّعـــــام وَشـــــلَّهُ

حتـــى إذا سَـــخِنَتْ وَخَـــفَّ عِظامُـــها[1]

قلقَـــتْ رِحالتُـــها وأســـبَلَ نَحْرُهـــا

وابتـــلَّ مـــن زَبَـــدِ الحميـــمِ حِزَامُـــها[2]

ترقـــى وتَطْعَـــنُ فـــي العِنـــانِ وتَنْتَحـــي

وردِ الحَمَّامَـــةِ إذْ أجَـــدَّ حَمامُـــها[3]

وكثـــيرةٍ غُرباؤهـــا مَجْهُولـــة

تُرجـــى نوافلـــها ويُخشـــى ذامُـــها[4]

الجرداء من الخيل. الحصر: ضيق الصدر، والفعل حصر يحصر. الجرام: جمع جارم وهو الذي يجرم النخل أي يقطع حمله.

يقول: لما غربت الشمس وأظلم الليل نزلت من المرقب وأتيت مكاناً سهلاً وانتصبت الفرس، أي رفعت عنقها، كجذع نخلة طويلة عالية تضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم وضعفهم عن ارتقائها، شبه عنقها في الطول بمثل هذه النخلة، وقوله: كجذع منيفة، أي كجذع نخلة منيفة.

[1] رفَّعتها: مبالغة رفعت. الطرد والطرد بفتح الراء وتسكينها لغتان جيدتان، والشل والشلل الطرد أيضاً.

يقول: حملت فرسي وكلفتها عدواً مثل عدو النعام أو كلفتها عدواً يصلح لاصطياد النعام حتى إذا جدت في الجري وخف عظامها في السير.

[2] القلق: سرعة الحركة. الرحالة: شبه سرج يتخذ من جلود الغنم بأصوافها ليكون أخف في الطلب والهرب، والجمع الرحائل. أسبل: أمطر. الحميم: العرق.

يقول: اضطربت رحالتها على ظهرها من إسراعها في عدوها ومطر نحرها عرقاً وابتل حزامها من زبد عرقها، أي من عرقها.

[3] رقي يرقى رقياً: صعد وعلا. الانتحاء؛ الاعتماد. الحمام: ذوات الأطواق من الطير، واحدتها حمامة، وتجمع الحمامة على الحمامات والحمائم أيضاً.

يقول: ترفع عنقها نشاطاً في عدوها كأنها تطعن بعنقها في عنانها وتعمد في عدوها الذي يشبه ورد الحمامة حين جد الحمام التي هي في جملتها في الطيران لما ألح عليها من العطش؛ شبه سرعة عدوها بسرعة طيران الحمائم إذا كانت عطشى، وورد الحمامة نصب على المصدر من غير لفظ الفعل وهو ترقى أو تطعن أو تنتحي.

[4] الذيم والذام: العيب.

يقول: رب مقامة أو قبة أو دار كثرت غرباؤها وغاشيتها وجهلت، أي لا يعرف بعض الغرباء بعضاً، ترجى عطاياها ويخشى عيبها؛ يفتخر بالمناظرة التي جرت بينه وبين الربيع بن زياد في مجلس النعمان بن منذر ملك العرب، ولها قصة طويلة. وتحرير المعنى: رب دار كثرت غاشيتها لأن دور الملوك يغشاها الوفود وغرباؤها يجهل بعضها بعضاً وترجى عطايا الملوك وتخشى معايب تلحق في مجالسها.

غُلـــــبٍ تَشَـــــذَّرُ بـــــالدَّحُولِ كأنّـــــها

جَـــــنَّ البَـــــدِيِّ رَوَاســـــياً أقدامُـــــها[1]

أنكَـــــرْتُ باطِلَـــــها وَبُـــــؤتُ بحقِّـــــها

عنـــــدي وَلَـــــم يَفْخَـــــرْ علـــــيَّ كِرامُـــــها[2]

وجـــــزُورِ أيســـــارٍ دَعَـــــوْتُ لحتْفِـــــها

بمغـــــالِقٍ متشـــــابهٍ أجْسـامُها[3]

أدعـــــو بـــــهنَّ لعـــــاقِرٍ أو مُطْفِـــــلِ

بُذِلَـــــتْ لجـــــيران الجميـــــع لِحامُـــــها[4]

فـــــالضَّيفُ والجـــــارُ الجنيـــــبُ كأنّمـــــا

هَبَطـــــا تَبالَـــــةَ مُخْصِبـــــاً أهْضَامُـــــها[5]

---

[1] الغلب: الغلاظ الأعناق. التشذر: التهدد. الذحول: الأحقاد، الواحد ذحل. البدي: موضع.
يقول: هم رجال غلاظ الأعناق كالأسود، أي خلقوا خلقة الأسود، يهدد بعضهم بعضاً بسبب الأحقاد التي بينهم، ثم شبههم بجن هذا الموضع في ثباتهم في الخصام والجدال، يمدح خصومه وكلما كان الخصم أقوى وأشد كان قاهره وغالبه أقوى وأشد.

[2] باء بكذا: أقر، ومنه قولهم في الدعاء: أبوء لك بالنعمة أي أقر.
يقول: أنكرت باطل دعاوى تلك الرجال الغلب وأقررت بما كان حقاً منها عندي، أي في اعتقادي، ولم يفخر عليّ كرامها، أي لم يغلبني بالفخر كرامها، من قولهم: فاخرته ففخرته، أي غلبته بالفخر، وكان ينبغي أن يقول: ولم تفخرني كرامها، ولكنه ألحق عليّ حملاً على معنى ولم يتعال عليّ ولم يتكبر عليّ.

[3] الأيسار: جمع يسر وهو صاحب الميسر. المغالق: سهام الميسر، سميت بها لأن بها يغلق الخطر، من قولهم: غلق الرهن يغلق غلقاً، إذا لم يوجد له تخلص وفكاك.
يقول: وربّ جزور أصحاب ميسر دعوت ندمائي لنحرها وعقرها بأزلام متشابهة الأجسام، وسهام الميسر يشبه بعضها بعضاً. وتحرير المعنى: وربَّ جزور أصحاب ميسر كانت تصلح لتقامر الأيسار عليها دعوت ندمائي لهلاكها أي لنحرها بسهام متشابهة. قال الأئمة: يفتخر بنحرها إياها من صلب ما له من كسب قماره، والأبيات التي بعده تدل عليه، وإنما اراد السهام ليقرع بها بين إبله أيها ينحر للندماء.

[4] العاقر التي لا تلد. المطفل: التي معها ولدها. اللحام: جمع لحم. يقول: أدعو بالقداح لنحر ناقة عاقر أو ناقة مطفل تبذل لحومها لجميع الجيران، أي إنما أطلب القداح لأنحر مثل هاتين، وذكر العاقر لأنها أسمن وذكر المطفل لأنها أنفس.

[5] الجنيب: العريب. تبالة: واد مخصب من أودية اليمن. الهضيم: المطمئن من الأرض، والجمع الأهضام والهضوم.
يقول: فالأضياف والجيران الغرباء عندي كأنهم نازلون هذا الوادي في حال كثرة نبات أماكنه المطمئنة، شبه ضيفه وجاره في الخصب والسعة بنازل هذا الوادي أيام الربيع.

تـــأوي إلـــى الأطنـــابِ كُـــلُّ رَذِيَّـــةٍ
مَثْـــلِ البَلِيَّـــةِ قـــالِصٍ أهدامُـــها[1]

ويكلَّلُـــونَ إذا الريـــاح تنـــاوَحَتْ
خُلُجـــاً تُمـــدُّ شـــوارِعاً أيتامُـــها[2]

إنّـــا إذا التَقَـــتِ المَجـــامِعُ لـــم يَـــزَلْ
مِنّـــا لِـــزازُ عظيمـــةٍ جَشَّـــامُها[3]

ومقسِّـــمٌ يُعطـــي العشـــيرَةَ حقَّـــها
وَمُغذْمِـــرٌ لِحُقُوقِـــها هَضَّامُـــها[4]

فضـــلاً وذُو كَـــرَمٍ يُعـــينُ علـــى النَّـــدى
سَـــمْحٌ كَســـوبُ رَغـــائبٍ غَنَّامُـــها[5]

---

[1] الأطناب: حبال البيت، واحدها طنب. الرذية: الناقة التي تردي في السفر، أي تخلف لفرط هزالها وكلالها، والجمع الرذايا، استعارها للفقيرة. البلية: الناقة التي تشد على قبر صاحبها حتى تموت، والجمع البلايا. الأهدام: الأخلاق من الثياب، واحدها هدم. قلوصها: قصرها. يقول: وتأوي إلى أطناب بيتي كل مسكينة ضعيفة قصيرة الأخلاق التي عليها لما بها من الفقر والمسكنة، ثم شبهها بالبلية في قلة تصرفها وعجزها عن الكسب وامتناع الرزق منها.

[2] تناوحت: تقابلت، ومنه قولهم: الحبلان متناوحان، أي متقابلان، ومنه النوائح لتقابلهن. الخلج: جمع خليج وهو نهر صغير يخلج من نهر كبير أو من بحر، والخلج الجذب. تمد: تزاد. شرع في الماء: خاضه.
يقول: ونكلل للفقراء والمساكين والجيران إذا تقابلت الرياح، أو في كلب الشتاء واختلاف هبوب الرياح، جفافاً تحكي بكثرة مرقها أنهاراً يشرع أيتام المساكين فيها وقد كللت بكسور اللحم. وتلخيص المعنى: ونبذل للمساكين والجيران جفاناً عظاماً مملوءة مرقاً مكللة بكسور اللحم في كلب االشتاء وضنك المعيشة.

[3] رجل لزاز الخصوم: يصلح لأن يلز بهم، أي يقرن بهم ليقهرهم، ومنه لزاز الباب ولزاز الجدار.
يقول: إذا اجتمعت جماعات القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا يقمع الخصوم عند الجدال ويتجشم عظائم الخصام، أي لا تخلو المجامع من رجل منا يتحلى بما ذكر من قمع الخصوم وتكلف الخصام.

[4] التغذمر والغذمرة: التغضب مع همهمة. الهضم: الكسر والظلم.
يقول: يقسم الغنائم فيوفر على العشائر حقوقها ويتغضب عند إضاعة شيء من حقوقها ويهضم حقوق نفسه، يريد أن السيد منا يوفر حقوق عشائره بالهضم من حقوق نفسه؛ قوله: ومغذمر لحقوقها، أي لأجل حقوقها، هضامها أي هضام الحقوق التي تكون له، والكناية في هضامها يجوز أن تكون عائدة على العشيرة أي هضام للأعداء فيهم منا، أي هضامهم للأعداء ويجوز أن تكون عائدة على الحقوق، أي المغذمر لحقوق العشيرة والهضام لها منا، والسيد يملك أمور القوم جبراً وهضماً في أوقاتها على اختلافها، فإن أساؤوا هضم حقهم وإن أحسنوا تغذمر لهم.

[5] الندى: الجود، والفعل ندي يندى ندى، ورجل ند. الرغائب: جمع الرغيبة وهي ما رغب فيه من علق

مِـــنْ مَعشَـــرٍ سَـــنَّتْ لـــهُمْ آبـــاؤُهُمْ

وَلِكُـــلِّ قـــومٍ سُـــنَّةٌ وإمَامُـــها[١]

لا يطْبَعُـــونَ ولا يَبُـــورُ فَعالُـــهُمْ

إذْ لا يَميـــلُ مَـــعَ الـــهوى أحْلامُـــها[٢]

فـــاقْنَع بمـــا قَسَـــمَ المَليـــكُ فإنَّمـــا

قَسَـــمَ الخلائِـــقَ بَيْنَنـــا علّامُـــها[٣]

وإذا الأمانَـــةُ قُسِّـــمَتْ فـــي مَعْشَـــرٍ

أوْفَـــى بـــأوفَرِ حَظّنـــا قَسّـــامُها[٤]

فَبَنَـــى لنـــا بيتـــاً رَفيعـــاً سَـــمْكُهُ

فَسَـــما إليـــهِ كهلُـــها وغُلامُـــها[٥]

وهُـــمُ السّـــعاةُ إذا العشـــيرةُ أُفظِعَـــتْ

وهُـــمُ فَـــوارِسُ هيجَـــاوَهُمْ حُكّامُـــها[٦]

نفيس أو خصلة شريفة أو غيرهما. الغنام: مبالغة الغانم.

يقول: يفعل ما سبق ذكره تفضلاً ولم يزل منا كريم يعين أصحابه على الكرم، أي يعطيهم ما يعطون، جواب يكسب رغائب المعالي ويغتنمها.

[١] يقول: هو من قوم سنت لهم أسلافهم كسب رغائب المعالي واغتنامها، ثم قال: ولكل قوم سنّة وإمام يؤتم به فيها.

[٢] الطبع: تدنس العرض وتلطخه، والفعل طبع يطبع. البوار: الفساد والهلاك. الفعال: فعل الواحد جميلاً كان أو قبيحاً، كذا قال ثعلب والمبرد وابن الأنباري وابن الأعرابي.

يقول: لا تتدنس أعراضهم بعار ولا تفسد أفعالهم إذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم.

[٣] يقول: فاقنع أيها العدو بما قسم الله تعالى فإن قسام المعايش والخلائق علامها، يريد أن الله تعالى قسم لكل ما استحقه من كمال ونقص ورفعة وضعة. والقسم مصدر قسم يقسم، والقسم القسمة اسمان، وجمع القسم أقسام، وجمع القسمة قسم. الملك والملك، بسكون اللام وكسرها، والمليك واحد، وجمع الملك، بسكون اللام، ملوك، وجمع الملك، بكسر اللام، أملاك.

[٤] معشر: قوم. قسم وقسم، بالتشديد والتخفيف، واحد. أوفى ووفى: كمل ووفر، ووفى يفي وفياً كمل، والوفور الكثرة. بأوفر حظنا أي بأكثره.

يقول: وإذا قسمت الأمانات بين أقوام وفر وكمل قسمنا من الأمانة أي نصيبنا الأكثر منها، يريد أوفى الأقوام أمانة؛ والباء في قوله بأوفر زائدة أي أوفى أوفر حظنا.

[٥] يقول: بنى الله تعالى لنا بيت شرف ومجد عالي السقف فارتفع إلى ذلك الشرف كهل العشيرة وغلامها، يريد أن كهولهم وشبانهم يسمون إلى المعالي والمكارم. وإذا روي هذا البيت قبل فاقنع، كان المعنى: فبنى لنا سيدنا بيت مجد وشرف، إلى آخر المعنى.

[٦] السعادة: جمع الساعي. أفظعت: أصيبت بأمر فظيع.

وَهُـــــمُ رَبيـــــعٌ للمُجـــــاوِرِ فيـــــهمُ

والمُرمـــــلاتِ إذا تَطَـــــاوَلَ عامُـــــها[1]

وهُـــــمُ العشـــــيرةُ أن يُبطّـــــئ حَاسِـــــدٌ

أَوْ أنْ يميـــــلَ مَـــــعَ العـــــدوِّ لئَامُـــــها[2]

يقول: إذا أصاب العشيرة أمر عظيم سعوا بدفعه وكشفه وهم فرسان العشيرة عند قتالها وحكامها عند تخاصمها، يريد رهطه الأدنين.

[1] أرمل القوم: إذا نفدت أزوادهم.

يقول: هم لمن جاورهم ربيع لعموم نفعهم وإحيائهم إياه بجودهم كما يحيي الربيع الأرض. وتحرير المعنى: هم لمن جاورهم وللنساء اللواتي نفدت أزوادهن بمنزلة الربيع إذا تطاول عامها لسوء حالها، لأن زمان الشدة يستطال.

[2] قوله أن يبطئ حاسد، معناه على قول البصريين: كراهية أن يبطئ حاسد وكراهية أن يميل، وعند الكوفيين: أن لا يبطئ حاسد وأن لا يميل، كقوله تعالى: «يبين الله لكم أن تضلوا». أي كراهية أن تضلوا أو يبين الله لكم أن لا تضلوا أي كي لا تضلوا.

يقول: وهم العشيرة، أي هم متوافقون متعاضدون فكنى عنه بلفظ العشيرة، كراهية أن يبطئ حاسد بعضهم عن نصر بعض أو كيلا يبطئ حاسد بعضهم عن نصر بعض، وكراهية أن يميل لئام العشيرة وأخساؤها مع العدو، أي أن يظاهر الأعداء على الأقرباء. وتحرير المعنى: إنهم يتوافقون ويتعاضدون كراهية أن يبطئ الحساد بعضهم عن نصر بعض ميل لئامهم إلى الأعداء أو مظاهرتهم إياهم على الأقارب.

obeikandl.com